جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية — الموسم الجامعي :2026/2025

جذع مشترك علوم إنسانية — السداسي الأول

محاضرات مقياس: الدولة العثمانية

التوسع العثماني في أوروبا

لعبت جغرافية الوجود العثماني على امتداد آسيا – أوروبا دورا في توجيه سياسة التوسعات العثمانية، حيث كانت قبلتهم الأولى حدود أراضي بيزنطة في الأناضول ثم أوربا، وخلال مدة قرنين من الزمن وضع الأتراك أيديهم على ممتلكات بيزنطة والإمبراطورية المجرية النمساوية ليتحولوا مطلع القرن السادس عشر نحو الشرق الأدنى وشمال إفريقيا.

أولا– خلفيات التوسع العثماني في أوروبا:

ارتبطت توسعات العثمانيين في أوربا بالعامل الديني، أي عامل الجهاد في سبيل الله، ومحبة الإسلام والالتزام بمبادئه؛ وهو سبب انشغالهم وتوسعاتهم في أوربا، ومن هنا يمكن إدراك حقيقة الانطلاق الحركي للإسلام؛ في صورة الجهادة بالسيف إلى جانب اللسان والبيان، وبذلك كانت القومية الدينية الإسلامية هي المحرك والموجه للسياسة الخارجية للدولة، من أجل ضمان الموارد البشرية التي تحتاجها للتوسعات، إذ لم يكن الجنس التركي وحده بقادر على توفيرها، ولذلك لجأ الأتراك لتوظيف الدين لجلب الأجناس المسلمة الأخرى واشراكها في الغزو، وبذلك اصطبغت الدولة منذ نشأتها بالصبغة الدينية. كما أن الموقع الجغرافي لإمارة آل عثمان؛ وحدودها المتاخمة للقسطنطينية من جهات الشرق حول أنظارهم لتحقيق نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم، خصوصا بعد فتح أدرنة القلعة الرئيسة بين القسطنطينية والدانوب؛ التي تفل قدرة الاحتفاظ بالفتوحات الأوربية، وتؤمن وسيلة الدفاع، وهذا دون إغفال ما وصلت إليه دول البلقان تفكك بعد موت الإمبراطور ستيفان دوشان عام 1355، دون إغفال عامل الإعداد العسكري والقيادة الحكيمة، كما كانت الجاذبية الاجتماعية، والنزعة التوسعية قد مكنت العثمانيين من مد سيطرتهم على آسيا الصغرى، واقتحام البلقان، وكان معنى إنشاء دولة عثمانية ذات كيان مهيب؛ استمرار التوسع بالإضافة إلى ترويض جموح الغزاة ليصبح المجتمع داخل هذه الدولة أكثر استقرار وعقلانية، وكان هذا التحول من انجاز السلطانين أورخان (1326- 1360) ومراد الأول (1362-1389) كما أن استيلاء العثمانيين على المدن الكبرى –كما حدث لبروسه في سنة 1326، ونيقية "ازنيك الحالية" في سنة 1329، ونيقوميديا "أزمت الحالية" في سنة 1337، وادريانول في أوربا عام 1360- قد أرسى الإمبراطورية على دعائم استقرار حضرية. إضافة إلى ذلك، كان العامل الاقتصادي من أبرز العوامل التي حركت تلك التوسعات، فسهول الدانوب الخصبة كانت عامل جذب؛ لتغطية متطلبات الدولة التي تحولت من إمارة إلى دولة، وتحلم بأن تكون إمبراطورية.

ثانيا– العبور العثماني إلى أوربا:

*كانت العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمبراطورية البيزنطية حسنة، خاصة في عهد المؤسس الثاني للدولة العثمانية **أورخان** (1326-1360) والإمبراطور **يوحنا السادس**. هذا الأخير الذي استنجد بأورخان عام 1355 وعرض عليه تزويجه بابنته إذا ما ساعده في صد هجوم حربي بقيادة دوشان ملك الصرب الذي استولى على بلاد البلغار ثم أخذ يزحف نحو القسطنطينية، فأجابه أورخان إلى طلبه، – وتزوج أورخان الأميرة ثيودورا ابنة يوحنا كما يذكر **نقفور جريجوراس** في كتابه"**التاريخ البيزنطي**"– وعبر الجيش العثماني إلى الساحل الأوربي لكنه لم يلبث أن عاد دون قتال، بسبب موت ملك الصرب. وكان هذا العبور إلى*

الشاطئ الأوربي؛ قد جعل العثمانيين يدركون مدى الضعف الذي وصلته الإمبراطورية البيزنطية ومدى الأهمية الاستراتيجية لهذا الساحل، ومن هذا التاريخ بدأت الدولة العثمانية تعد العدة للعبور للضفة الأخرى. وبعد عامين من العبور تمكن ولي العهد سليمان من العبور إلى الشاطئ الأوربي بجيش بلغ تعداده ثلاثون ألف مقاتل، حيث استولى على جزيرة **غاليبولي** عام 1357م، فكانت أول منطقة في قارة أوروبا تضم إلى الدولة العثمانية. وهكذا انتقلت الفتوحات الإسلامية العثمانية إلى القارة الأوربية المسيحية بعد أن كانت حروبها السابقة داخل شبه جزيرة الأناضول؛ لتبدأ صفحة جديدة من الانتصارات المتتالية على الإمبراطورية البيزنطية والدول الأوربية الأخرى. استغل أورخان الأوضاع الداخلية التي كانت تعيشها أوربا في تلك الحقبة التاريخية لترسيخ وتدعيم التواجد العثماني على الأرض الأوربية. وكان على رأس هذه الأوضاع انتشار الوباء في أوربا الذي كان من أسباب انشغال الممالك الأوربية عن الأخطار المحدقة بالبيزنطيين في الشرق، حتى أن الكثير من المؤرخين شبه الوباء بأنه من أهم حلفاء السلطان أورخان لبسط سيادته ونفوذه. ومن الأمور التي استغلها أورخان الصراع الدموي الذي استفحل بين أفراد الأسرة البيزنطية الحاكمة. لذلك نقل أعداد كبيرة من مسلمي الأناضول إلى البلاد الأوربية التي صارت بحوزته، علاوة على أنه قد حاصر القسطنطينية لكنه لم يتمكن من فتحها.

وقد استمرت الفتوحات العثمانية في القارة الأوربية بعد أورخان، ففي عهد **مراد الأول** (1360- 1389) - الذي كان محاربا قديرا ذا نزعة دينية قوية- تم فتح مدينة **أنقرة**، كما استولى عام 1360م على **أدرنة** ذات الأهمية الاستراتيجية في البلقان، وكانت ثاني مدينة في الإمبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية؛ لكونها قريبة من ميادين القتال في أوربا. واتخذ مراد من هذه المدينة عاصمة للدولة العثمانية منذ عام 1366م، وبذلك انتقلت عاصمة الدولة من آسيا الصغرى إلى أوروبا، وتحولت أدرنة من مدينة بيزنطية مسيحية إلى عاصمة عثمانية إسلامية. ورغم التحالف الأوربي بقيادة البابا أوربان الخامس لاستعادة المدينة إلا أن القوات الأوربية المتحالفة تعرضت لشر هزيمة سنة 1363. وكان من نتائج الانتصار العثماني وقوع بلغاريا كلها في أيدي العثمانيين، مما فتح المجال للسيطرة على صوفيا ونيش بين سنوات1385-1386. وكان أكبر انتصار حققه العثمانيون على الأوربيين في سهل **قوصوه 15 جوان 1389**، ورغم فداحة الخسائر من الطرفين؛ فقد انتهت المعركة بانتصار باهر للعثمانيين؛ وأن يكونوا قد دفعوا حياة سلطانهم مراد ثمنا لهذا للنصر الذي طعنه أحد الجرحى الصربيين بخنجر؛ عندما كان يتفقد ميدان القتال بعد المعركة، فتوفي على الفور. وكان من أهم نتائج معركة قوصوه؛ ضياع استقلال بلاد الصرب حتى القرن التاسع عشر، وانتشار الإسلام بين الصربيين الذين تحول عدد كبير منهم إلى الإسلام بمحض إرادتهم.

وعلى عهد **بايزيد الأول**(1389-1403) الابن الأصغر لمراد الذي نصبه الجيش في ميدان القتال، والمشهور ب" **يلدرم**" أي **الصاعقة**، أول من حمل لقب سلطان في آل عثمان؛ الذين انتقلوا من طور الإمارة إلى طور السلطنة، لم يكن أقل حماسا من أبيه في الفتوحات، فاهتم اهتماما كبيرا بالشؤون العسكرية، وبعد أن فرغ من التخطيط السياسي قام بفتح ألبانيا ورومانيا كما قام عام 1393 باكتساح بلغاريا وإخضاع سكانها، وبذلك فقدت البلاد استقلالها السياسي. وكان لسقوط بلغاريا دوي هائل في أوروبا. وحاصر القسطنطينية سبعة أشهر كاملة، واضطر لفك الحصار لأن **سيجموند** ملك المجر كان على رأس حملة صليبية بعد إعلان البابا **بونيفاس التاسع** الحرب الصليبية في كل أنحاء أوربا، وكان شعار الحملة " سحق العثمانيين أولا ثم احتلال القدس"، وقد تكونت من جنسيات مختلفة مجرية وفرنسية وألمانية وبولندية وانجليزية وإيطالية واسبانية، واجتازت هذه القوات التي ناهزت مائة وثلاثون ألف محارب نهر الدانوب، وبلغت مدينة **نيكوبوليس** شمال البلقان، وعندها دارت رحى معركة سميت باسمها أي لاسم هذه المدينة بين الصليبيين بقيادة **سيجموند** ملك المجر وبين العثمانيين بقيادة بايزيد الصاعقة عام **1396م**. انتهت معركة **نيكوبولي**

(**نيقوبوليس) بانتصار العثمانيين**، وفرار معظم المسيحيين، وقتل وأسر عدد من قادتهم، وخرج العثمانيون من معركة **نيقوبوليس** بغنائم وفيرة واستولوا على ذخائر العدو، وقد أدى انتصار العثمانيين على هذا التكتل الصليبي- الذي رفع مكانة العثمانيين في العالم الإسلامي- إلى توطيد أقدامهم في البلقان، حيث انتشر الفزع بين الشعوب البلقانية، وخضعت خضوعا تاما البوسنة وبلغاريا، وتكمن أهمية الحملة في كونها آخر مشروع دولي هام نفذه فرسان الإقطاع، وقد أثبت الصربيون ولائهم للدولة في ساحة نيقوبوليس التي تم فيها إحراز النصر بمساعدة مسيحيي البلقان. وعقب الانتصار أرسل بايزيد الصاعقة أباء هذا النصر إلى الخليفة العباسي المتوكل على الله بالقاهرة، فكان جواب الأخير أن أرسل إليه تشريفا وخلعة وسيفا، وكان هذا النصر معناه الاعتراف ببايزيد سلطانا على إقليم الروم، بذلك أصبح الأمير بايزيد أول من حمل لقب سلطان في آل عثمان كما أشرنا سابقا.

استأنف **مراد الثاني** (1421-1451) الذي تولى عرش الدولة محمد الأول (جلبي)؛ سياسة التوسع الإقليمي، فاحتل **سالونيك** التي هاجمها في 20 مارس 1430، ودخل ألبانيا عام 1431 وركزو هجومه على الجزء الجنوبي من البلاد، أما في الجبهة المجرية فقد تجددت الحرب بين المجريين والعثمانيين عام 1438، وفي بداية هذه الحرب حالف التوفيق السلطان مراد الذي استطاع أن يهزم المجريين، ويأسر منهم 70 ألف جندي، وأن يستولي على بعض المواقع، ثم تقدم لفتح بلغراد عاصمة الصرب لكنه أخفق في محاولته. وسرعان ما تكون حلف صليبي كبير باركه البابا استهدف طرد العثمانيين من أوربا كلية، وشمل البابوية، والمجر وبولندا وألمانيا، وفرنسا، والبندقية، والبيزنط، وتشكلت الحملة الصليبية الخامسة. وأعطيت قيادته ظاهرا إلى الملك البولوني لاديسلاس؛ والقيادة الفعلية إلى قائد مجري قدير هو **يوحنا هونيادي**، ونزل إلى ساحل البحر الأسود واقترب من فارنا. فجهز مراد الثانيجيشه الضخم الذي قارب 40.000 وزحف باتجاه العدو، حيث دارت **معركة فارنا Varna** الشهيرة سنة **1444** التي انتصر فيها العثمانيون، والتي أسر فيها الجيش العثماني ما بين 80 و90 ألف جندي مسيحي وأبيد البقية، وقتل فيها **لاديس لاس الثالث** ملك بولونيا والكاردينال **جيساريني**، ونجح عدد كبير من رجال العدو في الفرار من بينهم هونيادي. ونظرا لأهمية هذا الانتصار أمرت الدولة المملوكية خطباء المساجد، بذكر اسم السلطان العثماني مراد الثاني بعد اسم الخليفة العباسي، والدعاء لأرواح الشهداء العثمانيين في كامل الأقطار المملوكية. وحين أغار هونيادي على بلاد الصرب بجيش قوامه 25.000 انتقاما من العثمانيين بعد أن فشل في معركة فارنا، توغل فيها حتى وصل إلى سهل قوصوه، وهناك كان مراد الثاني بانتظاره جيش قوامه 50.000 جندي، وتقابل مراد الثاني مع القوات المتحالفة في **سهول قوصوه في 17 أكتوبر 1448**، استمرت المعركة ثلاثة أيام، وانتهت بفوز ساحق للعثمانيين الذين أثبتوا مقدرتهم القتالية، وقد خسر المسيحيون 17 ألف قتيل، وأسر الباقي، وبلغ عدد شهداء الأتراك 4000 شهيد وفق ما تذكره المصادر الأوربية. وقد توقفت أوروبا بعد واقعة كوسوفا لعصور طويلة عن التفكير في إخراج العثمانيين الأتراك من شبه جزيرة البلقان، وتحولوا بعدها إلى مدافعين لفترة طويلة من الزمن. وقد أخرجت هذه المعركة بلاد المجر لعشر سنوات على الأقل من عداد الدول التي تستطيع النهوض بعمليات حربية هجومية ضد العثمانيين. ولم تمض بضع سنوات على الانتصار على هذا الانتصار الباهر الذي تم على يدي مراد الثاني حتى توفي في 05 فبراير 1451، وخلفه ابنه محمد باسم السلطان محمد الثاني.

ثالثا-محمد الفاتح وفتح القسطنطينية:

اقترن اسم السلطان **محمد الثاني أو الفاتح** (1451-1481) بحادث هام في تاريخ الشرق الأدنى هو فتح القسطنطينية، ولهذا السبب علقت باسمه صفة الفاتح، ولهذا السبب تبوأ مكانا بارزا بين سلاطين آل عثمان، وقد لعب الشيخ آق شمس الدين دورا

كبير في تكوين شخصية محمد الفاتح، ويذكر المؤرخون أنه استطاع أن يبث فيه أمرين: مضاعفة حركة الجهاد العثمانية، والإيحاء لمحمد دوما بأنه هو الأمير المقصود بالحديث النبوي الشريف: " **لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش**". لقد أراد محمد الثاني منذ الأيام الأولى لحكمه حسم مشكلة القسطنطينية بالاستيلاء على هذه لمدينة ذات الأهمية الاستراتيجية، فهي الجسر الحيوي الذي يربط ويصل بين القسم الآسيوي للإمبراطورية والقسم الأوربي، فهي عقدة المواصلات وطريق الملاحة العالمية. لقد كانت هذه المدينة تتخذ وكرا للمؤامرات التي تدبر ضد الدولة العثمانية، ولذلك استعد سياسيا وعسكريا للاستيلاء على القسطنطينية. ومهد لهذا الفتح بعدة إجراءات منها: عقد مجموعة من الاتفاقيات السياسية والاقتصادية مع بعض الدول الأوربية كالبندقية وجنوة والصرب وفرسان القديس يوحنا؛ لعزل الإمبراطور **قسطنطين** عن حلفائه، وضرب الحصار الاقتصادي على المدينة لمنع أي نوع من الإمدادات الغذائية والعسكرية لإضعاف معنويات سكانها، والرفع من وتيرة القدرة القتالية وتجهيزه بمعدات حربية متطورة كالمدفعية الثقيلة، وبناء قلعة " روماللي حصار" على الشاطئ الأوربي إلى جوار القسطنطينية، وهي تبعد نحو ستة أميال إلى الشمال منها؛ وبذلك يكون قد كسب موقع استراتيجيا واقتصاديا يحول دون وصول الإمدادات إلى العاصمة البيزنطية، بالإضافة إلى الاهتمام برفع معنويات الجنود بتعميق روح الإيمان لديهم. ومنذ شهر أبريل 1453 أحدق السلطان محمد الثاني بالقسطنطينية ناحية البر بقوات جرارة بلغ تعدادها أكثر من ربع مليون جندي، واستمر الحصار 53 يوما (من 06 أبريل حتى 29 مايو)، وكان السلطان محمد الثاني قد بعث رسولا إلى الإمبراطور قسطنطين يدعوه إلى تسليم العاصمة، لكن الإمبراطور امتنع وأبى إلا الدفاع عن عاصمته أو الموت فيها، وفي يوم 24 أماي 1453 أصدر السلطان أمره بالاستعداد للهجوم العام على القسطنطينية برا وبحرا، وانتشر رجال الدين في المعسكرات يصيحون " لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وبلغ الحماس الديني أوجه حين بدأ الهجوم العثماني في 28 ماي. ورغم أن المهاجمين لقوا مقاومة عنيفة عند البوابة الرئيسية التي كانت تسمى بوابة رومانوس، فقد نجح الإنكشارية في تسلق أسوار هذه العاصمة في هذه الجهة، وفاجأوا الحامية التي كانت ترابط عند بوابة أخرى. واستولى الجيش العثماني عنوة على العاصمة وسقط إمبراطورها **قسطنطين دراجازيس** قتيلا مع من معه من خيرة القادة، وفر المدافعون بعد انتهاء قيادتهم، وهكذا تمكن المسلمون من الاستيلاء على المدينة، وكان محمد الفاتح مع جنده في تلك اللحظات يشاركهم فرحة النصر، ولذة الفوز بالغلبة على الأعداء. وفي ظهر يوم 29 ماي دخل السلطان محمد الثاني القسطنطينية من البوابة الرئيسة، وصلى صلاة الظهر في كاتدرائية القديسة صوفيا إيذانا بتحويلها إلى مسجد. وأطلق على مدينة القسطنطينية اسلامبول أو استانبول أي عاصمة الإسلام. فانتهت بذلك سلسلة الأباطرة من آل باليولوج مع تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، لتصبح القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية لمدة خمسة قرونا تقريبا.

اعتبر المؤرخون أن فتح القسطنطينية حدا فاصلا بين تاريخ العصور الوسطى وتاريخ العصور الحديثة، وأحدث هذا الفتح دويا هائلا في الشرق والغرب، فقد عم الفرح والابتهاج ربوع آسيا وإفريقيا، وطربت القاهرة عندما أتتها هذه الأنباء واتخذت زينتها، وأرسل السلطان المملوكي رسالة إلى السلطان محمد الفاتح يهنئه بالفتح. كما بعث السلطان محمد الفاتح برسائل الفتح والنصر إلى شه إيران وشريف مكة وأمير القرمان، كما بعث إلى الأمراء المسيحيين المجاورين له في المورة والأفلاق والبغدان والمجر والبوسنة والصرب وألبانيا، وإلى جميع أطراف مملكته، وتلقى من بعضهم رسائل تهنئة. وكان تأثير فتح القسطنطينية على الغرب تأثيرا كبيرا وهائلا، أثر في مستقبل أوربا كلها، بحيث اهتزت عروش ملوك أوربا وانتابت ملوكهم موجة من الخوف والهلع والشعور بمرارة الهزيمة، فقد كانت القسطنطينية الحصن المنيع لأوربا منذ مئات السنين. وكان سقوطها سببا في أن يضطر بعض أمراء البلقان مثل **برانكوفيتش** أمير الصرب إلى إعلان الخضوع للسلطان، وكان **جورج كاستريوتا** (إسكندر) في ألبانيا على نفس المستوى من

التفكير الذي كان لدى برانكوفيتش. أما أمراء ولاشيا وملدافيا " الأفلاق والبغدان"- هاتان الإمارتان الرومانيتان في شمالي نهر الدانوب- فقد قبلوا بالسيدة العثمانية غير المباشرة نكاية في خصمهم التقليدي "المجر"، ولكنهم كانوا لا يتورعون عن استخدام المجر وبولنده ضد الدولة العثمانية كلما سنحت الفرصة.

رابعا- التوسعات العثمانية في الجبهة الأوربية (1481-1566):

كان **بايزيد الثاني** (1481-1512) محبا للسلام، ونشطت في عهده العلاقات الديبلوماسية بين الدولة العثمانية وأوربا، ومع ذلك استطاع في الميدان الأوربي أن يحرز نصرا بحريا على البنادقة في خليج ليبانتو ببلاد اليونان عام 1499، وفي العام التالي استولى على مدينة **ليبانتو**. وباستيلاء العثمانيين على مواقع البنادقة في اليونان، أقام البابا "**إسكندر السادس**" بناء على طلب البنادقة؛ حلفا ضد العثمانيين مكونا من فرنسا وإسبانيا. وتعرض العثمانيون لهجوم الأساطيل الثلاثة: الفرنسي والإسباني والبابوي، ولكن الصلح لم يلبث أن عقد بين العثمانيين والبنادقة. وفي عهد السلطان سليم الأول (1512-1520) حدث انقلاب في استراتيجية التوسع العثماني، فتوقف زحف العثمانيين صوب الغرب(أوربا) أو كاد، واتجهت الدولة العثمانية اتجاها شرقيا في قلب المشرق العربي.

بلغ الدولة العثمانية أوج قوتها واتساعها في عهد السلطان **سليمان القانوني** (1520-1566) الذي تولى الخلافة بعد أبيه سليم، الذي قاد باسم الإسلام ستة عشرة حملة عسكرية في جوف أوربا، ووصل إلى أسوار فيينا. استولى على **بلغراد** عام 1521 وهو في طريقه إلى المجر، وفتح جزيرة **رودس** عام 1522 لمنع رهبان الجزيرة من محاربة المسلمين، ونزح سكانها منها إلى جزيرة مالطا التي أصبحت قاعدة لمحاربة المسلمين، وإثر استيلاء سليمان على بلغراد أعلنت **البندقية** ولائها للسلطان العثماني. وفي عم 1526 بدأ عزو المجر بجيش يقوده السلطان قوامه مائة ألف مقاتل ومعه 300 مدفع، وفي معركة **موهاج (موهاكز)** قتل ملك المجر لويس الثاني؛ وكثير من نبلائه وكهنته وأكثر من 20.000 مجري، ثم سقطت بودابست ووقع في أيدي العثمانيين مائة ألف أسير بيعوا في سوق النخاسة، وفي النهاية استولى العثمانيون على المجر التي ظلت ولاية عثمانية لمدة 140 سنة. وفي سنة 1529 زحف العثمانيون بجيش قوامه ربع مليون جندي على فيينا التي دافع عنها سكانها ببسالة، مما أدى على فشل الحصار. وبعد ثلاث سنوات (1532) زحف سليمان على المدينة من جديد بجيش جرار، ولكن شار ل الخامس واجهه بجيش ضخم، وفي النهاية عقد الصلح بين الطرفين في الآستانة عام 1533.

بنهاية القرن السابع عشر، وعلى إثر الهزائم العسكرية والسياسية المتتالية التي منيت بها الدولة العثمانية، بدا واضحا أن الغرب الأوربي قد سبقها بأشواط بعيدة في مجالات التقدم العسكري والاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

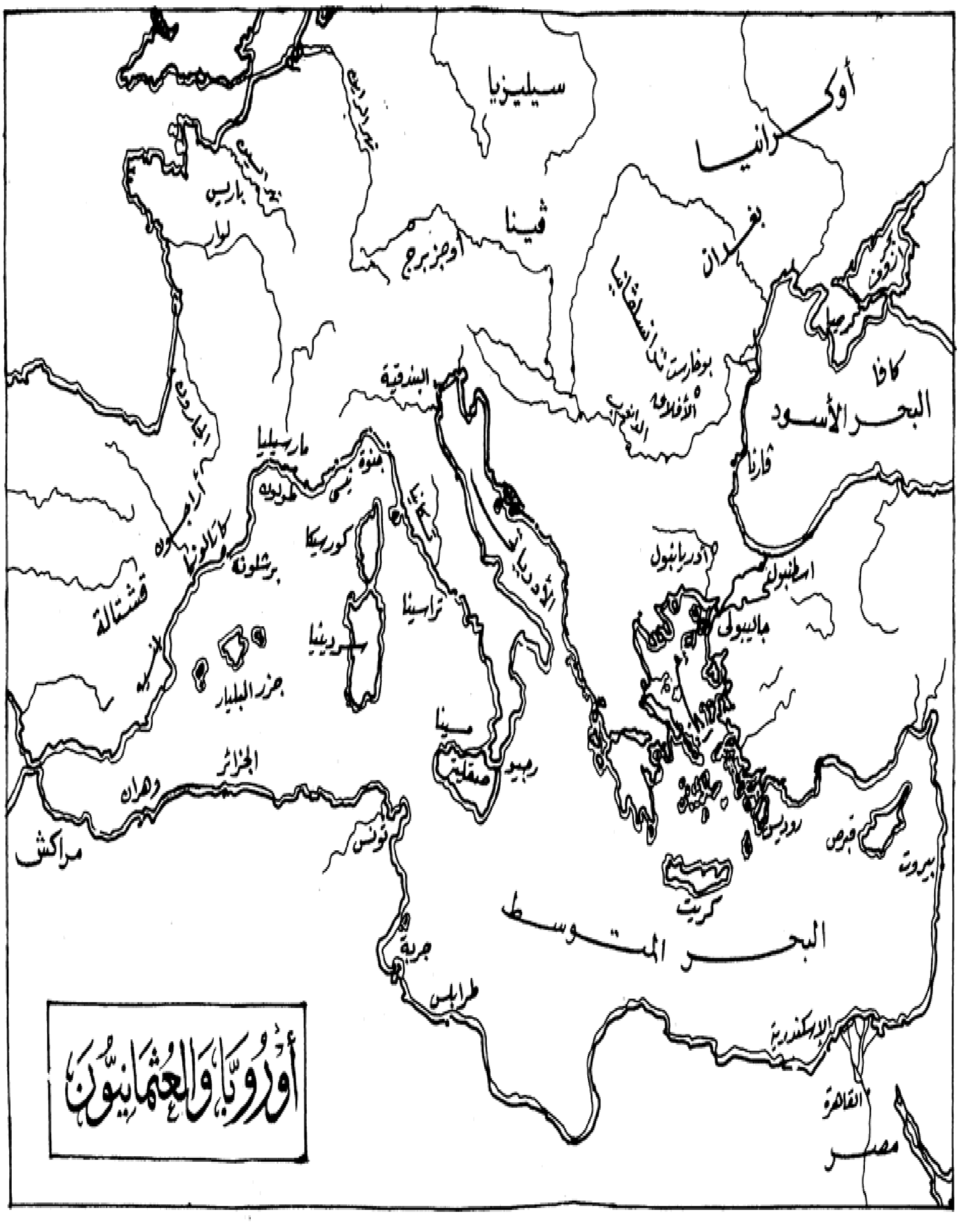
أوروبا والعثمانيون
سيليزيا
أوكرانيا
ڤينا
أوجزبرج
باريس
لوار
بغدان
بوخارست
البندقية
مارسيليا
جنوة
كورسيكا
برشلونة
قشتالة
سردينيا
جزر البليار
الجزائر
وهران
مراكش
تونس
مسينا
صقلية
أدريانبول
استانبول
جاليبولي
كافا
البحر الأسود
فارنا
قبرص
بيروت
رودس
كريت
البحر المتوسط
جربة
طرابلس
الإسكندرية
القاهرة
مصر